(أسس العقل وتوجهاته) دراسة تحليلية عند طه عبد الرحمن – أبو يعرب المرزوقي – محمد عثمان الخشت

إعداد
عايدة هشام فاروق عبد المعبود
أ.د إبراهيم طلبه سلكها
أستاذ الفلسفة الحديثة والمعاصرة كلية الآداب – جامعة طنطا

المستخلص:
من بين النّعم الكثيرة التي منّ الله تعالى بها على الإنسان نعمة العقل التي ميّزته عن سائر الكائنات، وإنّ هذه النّعمة هي من آثار التّكريم الرّباني للإنسان حين فضّله على كثير من خلقه، وعلى الإنسان أن يدرك أهميّة العقل في حياته فيتجنب تدميره أو تغيبه باتباع شهوات نفسه ونزواتها ، و لم يكن الإنسان يمتلك عقلاً يدرك فيه حياته وأسباب وجوده لما كان لوجوده في الحياة أي فائدة أو منفعة، فعمارة الأرض واستصلاحها تحتاج دائماً إلى العقل الذي يفكّر في ابتكار الوسائل والطّرق التي تؤدّي إلى ذلك، فالعقل إذن هو مظنّة الاستخلاف في الأرض. ونهدف هنا إلى إلقاء الضوء على إشكالية العقل وإن كان ذلك كذلك فما موقف طه عبد الرحمن – أبو يعرب المرزوقي - محمد عثمان الخشت من هذا وهذا ما سوف تعرضه الباحثة في هذا البحث:
من بين النّعم الكثيرة التي منّ الله تعالى بها على الإنسان نعمة العقل التي ميّزته عن سائر الكائنات، وإنّ هذه النّعمة هي من آثار التّكريم الرّباني للإنسان حين فضّله على كثير من خلقه، وعلى الإنسان أن يدرك أهميّة العقل في حياته فيتجنب تدميره أو تغيبه باتباع شهوات نفسه ونزواتها ، و لم يكن الإنسان يمتلك عقلاً يدرك فيه حياته وأسباب وجوده لما كان لوجوده في الحياة أي فائدة أو منفعة، فعمارة الأرض واستصلاحها تحتاج دائماً إلى العقل الذي يفكّر في ابتكار الوسائل والطّرق التي تؤدّي إلى ذلك، فالعقل إذن هو مظنّة الاستخلاف في الأرض.

الكلمات الإفتتاحية:
أسس العقل؛ طه عبد الرحمن؛ أبو يعرب المرزوقي؛ محمد عثمان الخشت.

مقدمة:

من بين النّعم الكثيرة التي منّ الله تعالى بها على الإنسان نعمة العقل التي ميّزته عن سائر الكائنات، وإنّ هذه النّعمة هي من آثار التّكريم الرّباني للإنسان حين فضّله على كثير من خلقه، وعلى الإنسان أن يدرك أهميّة العقل في حياته فيتجنب تدميره أو تغيبه باتباع شهوات نفسه ونزواتها ، و لم يكن الإنسان يمتلك عقلاً يدرك فيه حياته وأسباب وجوده لما كان لوجوده في الحياة أي فائدة أو منفعة، فعمارة الأرض واستصلاحها تحتاج دائماً إلى العقل الذي يفكّر في ابتكار الوسائل والطّرق التي تؤدّي إلى ذلك، فالعقل إذن هو مظنّة الاستخلاف في الأرض.

ونهدف هنا إلى إلقاء الضوء على إشكالية العقل وإن كان ذلك كذلك فما موقف طه عبد الرحمن – أبو يعرب المرزوقي - محمد عثمان الخشت من هذا وهذا ما سوف تعرضه الباحثة في هذا البحث :

أولاً : مفهوم العقل :

١- لغة :

المنع والحبس[١] فالعقل مصدر عقله البعير بالعقال أعقله عقلا ، والعقال : حبل يثنى به يد البعير إلى ركبتيه فيشدون به ، ويقال للمخاطب : أعقل ما يقال لك يا أي احصر معرفته واحبسه لئلا يذهب عنك ، ويسمى أيضاً حجراً لأنه يحجر الإنسان عن ارتكاب الخطأ .

يقول الجاحظ : " وإنما سمي العقل وعقلا وحجرا. **قال تعالى** " **هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ** " (سورة الفجر : رقم الآية : ٥) ، لأنه يزن اللسان ويختمه ويشكله ويرثيه ويقيد الفضل ويعقله عن أن يمضي فرط في سبيل الجهل والخطأ والمضرة ، كما يعقل البعير ويحجر على اليتيم[٢] .

وأصل العقل : أيضاً الإمساك والتمسك ، وعاقلة البعير بالعقال ، وعقل الدواء البطن ، وعقلت المرآة شعرها ، وعقل لسانه : كفه ، ومنه قيل للحصن : معقل ، وجمعه معاقل [٣].

وسمي عقل الإنسان وهو تميزه الذي به فارق جميع الحيوان عقلا لأنه يعقله ، أي يمنعه من التورط في الهلكة ، كما يعقل العقال البعير عن ركوب رأسه [٤].

٢- اصطلاحا :

قد اختلف العلماء في تعريف العقل وحقيقته لكونه اسما مشتركا لمعاني عدة فهو : ملكه أي هيئة راسخة تترك بها العلوم[١].

---

[١] ابن منظور : **لسان العرب** ، ج ١١ ، دار صادر ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولي ، ص ٤٥٨.

[٢] عمرو بن بحر الجاحظ : **الرسائل الأدبية** ، تحقيق / صفوان عدنان الداودي ، الطبعة الأولي سنة ١٤١٢ هـ ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت – لبنان ، ص ٨٨.

[٣] الراغب الأصفهاني : **المفردات في غريب القرآن** ، تحقيق / صفوان عدنان الداودي ، دار القلم والدار الشامية ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولي ،١٤١٢ هـ ، ، ص ٥٧٨.

[٤] محمد عوض مرعب : **تهذيب اللغة** ، ج ١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، الطبعة الاولي ، ٢٠٠١ م ، ص ١٥٨.

وهو: العلم بصفات الأشياء ، من حسنها وقبحها ، وكمالها ونقصانها ، أو العلم بخير الخيرين ، وشر الشرين ، أو مطلق الأمور ، والحق أنه نور روحاني ، به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية[٢] وهو أيضاً : جوهر لطيف يفصل به بين حقائق المعلومات.

والعقل يقال : للقوة المتهيئة لقبول العلم ، ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة عقل.

وقال الجرجاني العقل : " جوهر مجرد عن المادة في ذاته ، مقارن لها في فعله ، وهي النفس الناطقة التي يشير إليها أحد بقوله : أنا ، وقيل : العقل : جوهر روحاني خلقه الله تعالى متعلقا ببدن الإنسان ، وقيل : العقل : نور في القلب يعرف الحق والباطل ، وقيل : العقل : جوهر مجرد عن المادة يتعلق بالبدن تعلق التدبير والصحيح أنه جوهر مجرد يدرك الفنيات بالوسائط والمحسوسات بالمشاهدة "[٣].

وهو عند الجاحظ: آلة الاعتبار والتفكير والمؤاخذة، فهو يقول " إن الفرق الذي بين الإنسان والبهيمة، والإنسان والسبع والحشرة إنما هو الاستطاعة والتمكين، وفي وجود الاستطاعة وجود العقل والمعرفة وما أعطاه الله العقل إلا للاعتبار والتفكير "

ولعل أجمع وأدق ما قيل في معنى العقل قول الغزالي ومن وافقه بعدم الطمع في حدى بحد واحد يحيط به ؛ لأنه اسم مشترك يطلق على عدة معان :

الأول : إطلاقه على الغريزة التي يتهيأ بها الإنسان لدرك العلوم النظرية وتدبير الأمور الخفية .

الثاني: إطلاقة على بعض الأمور الضرورية . وهي التي تخرج إلى الوجود في ذات الطفل المميز بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات .

الثالث : إطلاقه على العلوم المستفادة من التجربة ، فإن من حنكته التجارب يقال عنه إنه عاقل من لا يتصف بذلك يقال عنه غبيا جاهلا .

الرابع : إطلاقه على ما يوصل إلى ثمرة معرفة عواقب الأمور ، بقمع الشهوات الداعية إلى اللذات العاجلة التي تعاقبها الندامة ، فإذا حصلت هذه القوة سمى صاحبها عاقلاً .

الخامس : إطلاقه على الهدوء والوقار ، وهي هيئة محمودة للإنسان في حركاته وكلامه . فيقال : فلان عاقل ، أي عنده هدوء ورزانة[٤] .

أما الفلاسفة فإن للعقل عندهم معاني :

الأول : إن العقل جوهر بسيط مدرك للأشياء بحقائقها[٥].

---

[١] زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري : **أسني المطالب في شرح روض الطالب** ، ج ٤ ، دار الكتاب الإسلامي ، ص ٥٨.

[٢] محمد نعيم العرقسوسي وآخرين : **القاموس المحيط** ، الفيروزآبادي ، ج ١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثامنة ، ١٤٢٦ ، ص ١٠٣٣.

[٣] الشريف الجرجاني : **التعريفات** ، تحقيق / جماعة من العلماء– ١٩٨٣ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة الاولي ، ١٤٠٣ هـ ، ص ص ١٥١ – ١٥٣.

[٤] محمد عبد السلام عبد الشافي ، الإمام الغزالي : **المستصفي** ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ؛ إحياء علوم الدين ، ج ١ ، دار المعرفة – بيروت ، الطبعة الاولي ، ١٤١٣ ، ص ص ٢٠ – ٨٥.

[٥] محمد عبدالهادي أبوريدة : **رسائل الكندي الفلسفية** ، دار الفكر العربي ، ١٣٦٩ هـ ، ص ١٦٥.

الثاني : إنه قوة النفس التي بها يحصل تصور المعاني ، وتأليف القضايا والأقيسة والفرق بينه وبين الحس إن العقل يستطيع أن يجرد الصورة عن المادة وعن لواحق المادة ، أما الحس فإنه لا
يستطيع ذلك [١].

الثالث : إن العقل عبارة عن قوة الإصابة في الحكم ، والقدرة على تمييز الحق من الباطل [٢].

الرابع : إن العقل قوة طبيعية للنفس متينة لتحصيل المعرفة العلمية ، وهذه المعرفة مختلفة عن المعرفة الدينية المستندة إلي الوحي والإيمان .

الخامس : إنه عبارة عن مجموع الوظائف النفسية والمتعلقة بتحصيل المعرفة كالإدراك والتداعي ، والذاكرة ، والتخيل ، والحكم ، والاستدلال [٣].

السادس : وفيه معاني ثلاثة يطلق عليها الجمهور اسم العقل ، فيقال : عقل لصحة الفطرة الأولى في الإنسان ، فيكون حده : إنه قوة بها يوجد التمييز بين الأمور القبيحة والحسنة ، ويقال : عقل لما يكسبه الإنسان بالتجارب من الأحكام الكلية ، فيكون حده : إنه معني مجتمع في الذهن تكون مقدمات تستنبط بها المصالح والأغراض ، ويقال عقل لمعنى آخر ، حده : إنه هيئة محمودة للإنسان في حركاته وسكناته ، وكلامه واختياره [٤].

ثانياً : موقف طه عبد الرحمن :

١- درجات العقلانية وتفاضل مراتبها :

يري طه عبد الرحمن بأن العقل المجرد : " عبارة عن الفعل الذي يطلع به صاحبه على وجه من وجوه شيء ما ، معتقدا في صدق هذا الفعل ، ومسندا في هذا التصديق إلى دليل معين " . [٥]فهو جملة الأفعال التي يقوم بها شخص ما عند النظر في أمر ما بقصد إدراك مطلوب معين ، ، أما العقل المسدد فهو : " عبارة عن الفعل الذي يبتغي به صاحبه جلب منفعة أو دفع مضرة متوسلا في ذلك بإقامة الأعمال التي فرضها الشرع . [٦]

في حين أن الفعل في العقل المسدد ليس أي فعل كان وإنما هو الفعل الذي يوافق الشرع ويجتلب المصلحة ثم يدخل في الأشغال ، بينما العقل المؤيد فهو : " عبارة عن الفعل الذي يطلب به صاحبة معرفة أعيان الأشياء بطريقة النزول في مراتب الاشتغال الشرعي ، مؤيد النوافل ، زيادة على إقامة الفرائض على الوجه الأكمل " .[٧] وهذا الأخير يقوم على التجربة الحية وينشد وينشد الكمال الأخذ بمبدأ التحقق الأفضل ومبدأ التخلق الأكمل .

---

[١] جميل صليبا : **المعجم الفلسفي** ، ج ٢ ، الشركة العالمية للكتاب ، بيروت – لبنان ، ١٤١٤هـ ، ص ٨٦.

[٢] المرجع نفسه ، ص ٨٩.

[٣] جميل صليبا : **المعجم الفلسفي** ، ج ٢ ، ص ٨٩ .

[٤] ابن سينا : **تسعة رسائل في الحكمة والطبيعيات** ، **الرسالة الرابعة في الحدود** ، دار العرب للبستاني ، مصر، الطبعة الثانية ، ص ٧٩.

[٥] طه عبد الرحمن : **العمل الديني وتجديد العقل** ، المركز الثقافي ، الدار البيضاء ، المغرب ، طبعة ٢ ، ١٩٩٧ م ، ص ١٧ .

[٦] المصدر نفسه ، ص ٥٨.

[٧] المصدر نفسه ، ص ١٢١.

أكد طه عبد الرحمن في أكثر من موضع من مؤلفاته ، أن العقلانية ليست عقلانية واحدة وإنما هي عقلانيات حيث يقول : " وقد التبس الأمر على دعاة العقلانية من المحدثين ، فظنوا أن العقلانية واحدة لا ثانية لها ، وأن الإنسان يختص بها بوجه لا يشاركه في غيرة وليس الأمر كذلك ، إذ العقلانية على قسمين كبيرين فهنالك العقلانية المجردة من الأخلاقية ، وهذه يشترك فيها الإنسان مع البهيمة ، وهناك العقلانية المسددة بالأخلاقية ، وهي التي يختص بها دون سواها ، وخطأ المحدثين أنهم حملوا العقلانية على المعنى الأول وخصوا بها الإنسان . " [١]

٢- حدود العقلانية المجردة وسبل مواجهتها :

تحدث طه عبد الرحمن عن حدود العقلانية المجردة ، وكيف يمكن التصدي لها أخلاقيا في كثير من كتبه أهمها (سؤال الأخلاق ، مساهمة في النقد الأخلاقي الحداثة الغربية) ، كما تحدث عن معايير تعريف العقلانية ، فضبطها في ثلاثة هي : معيار الفاعلية ، ومعيار التقويم ، ومعيار التكامل .

أ) معيار الفعلية :

مقتدى هذا المعيار الأول أن الإنسان يحقق ذاته بواسطة الأفعال ومجالها متسعا ومتنوعا ، ويتجلى تحقق الإنسان بواسطة ومتنوع ، ويتجلى تحقق الإنسانية بواسطة الأفعال فيما يتخذه من مختلف المواقف التي تتحدد بموجبها هوية سلوكه ، كما يتجلى اتساع مجال أفعاله وتنوعها في مظاهر، أحدهما قول أصناف هذه الأفعال وكيفيتها ووسائلها متعددة ، والثاني كون ظروفها المكانية والزمانية متقلبة ، والثالث كون بواعثها ومقاصدها متفاوتة .[٢]

ب) معيار التقويم :

مقتدى هذا المعيار الثاني أن الإنسان لا يركن إلى ما هو كائن وما هو واقع ، بل يسعى دوما إلى أن يكون موجها بقيم معينة تملي عليه ما يجب أن يكون وما يجب أن يقع ، ومشدودا إلى معاني تعلوا بهمته إلى الخروج عن حالة الحاضر وابتغاء أحوال أخرى غيرها . [٣]

ج) معيار التكامل :

مقتضى هذا الأخير أن الإنسان ، على اختلاف مظاهره السلوكية وتعدد قدراته النفسية ووظائفه العضوية ، ليس مجموعة من الأجزاء التي تقبل إيقاع الانفصال بينها ، وإيقاف تأثير بعضها البعض ، وإنما هو ذات واحدة تجتمع فيها مظاهر القوة ، مع مظاهر الضعف ، وصفات العرفان ، مع صفات الوجدان ، ومستويات النظر ، مع مستويات العمل ، وقيم الجسم مع قيم الروح . [٤]

وهكذا فمعيار الفاعلية يقوم بتحقق الأسين عن طريق الأفعال ، ومعيار التقويم يقضي بأن تستند هذه الأفعال إلي قيم معينة ، أما معيار التكامل فهو الذي يجعل هذه الأفعال الموجهة متضافرة فيما بينها ومكملة لبعضها البعض .

---

[١] طه عبد الرحمن : **سؤال الأخلاق** – مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية –المركز الثقافي العربي . الدار البيضاء . طبعة ١ ، ٢٠٠٠م ، ص ١٤ .

[٢] طه عبد الرحمن : **العمل الديني وتجديد العقل** ، ص ٦٢ .

[٣] الموضع نفسه .

[٤] الموضع نفسه .

انطلاقا من هذه المعايير ، قام طه عبد الرحمن بنقد تعريفين إثنين للعقلانية ، أحدهما قديم كان له بالغ الأثر في التراث الإسلامي ، وهو التعريف الأرسطي وثانيهما حديث لا يقل أثر في الخطاب الإسلامي والعربي المعاصر ، وهو التعريف الديكارتي .

والعقل عند أرسطو عبارة عن جوهر قائم بالإنسان يفارق به الحيوان ويستعد به لقبول المعرفة فالعقل فعل من الأفعال التي يقوم بها الإنسان ولا فرق بينه وبين باقي الملكات الأخرى و العقل عنده يدخل في باقي الأفعال الإنسانية فمثلا المبصر يبصر وهو يعقل في بصره ، والسامع يسمع وهو يعقل في سمعه ، والعامل يعمل وهو يعقل في عمله .[١]

ولما كانت تصور" الأرسطي " للعقلانية يخل بمعيار الفاعلية والتكامل الضروريين في تعريف لها مع إساءة استعمال معايير التقويم ، أورد طه عبد الرحمن تعريفا آخر لديكارت الذي يقر أن العقلانية قائمة في معنى استخدم المنهج العقلي على الوجه الذي يتحدد به في سياق ممارسة العلوم الحديثة ، ولا سيما الرياضة منها .[٢]

في إمكانية معرفة الحقيقة بواسطة العقل دون مساعد آخر كما يرى ديكارت تؤكد على قدرات الإنسان اللامحدودة ، فالعقل بهذا يرفض من حيث طبيعة الاعتراف بسلطة أخرى غير سلطته ، فالعقل يجب أن يكون هو الحكم الأعلى ، وهو في الوقت نفسه النور الطبيعي الذي يضيء طريق الإنسان ، بل أكثر من ذلك ، فإن جميع مسائل العلم والرياضيات والحياة العلمية قابلة للحل عن طريق النور الطبيعي للعقل .

٣ - صفات المنهج العقلي :

أ) **النسبية** : إن قوانين العقل المجرد التي يختص المنطق بدراستها هي قوانين مشتركة وكلية وواحدة عند جميع العقلاء ، غير أن المتأمل في تاريخ هذا العالم يتبين بطلان هذا الاعتقاد ذلك أن المنطق صار يشتغل بصنوف متكاثرة من القواعد والمسلمات ، وبضروب متغايرة من الأنساق التي تبنى على هذه المسلمات والقواعد ، وبألوان متباينة من الحسابات الآلية التي تنشأ عن هذه الأنساق المتعددة .[٣]

ب) الاسترقاقية :

بعد أن امتلك الناس أسرار المناهج التقنية ، كالخاصية الحسابية والخاصية الآلية ، حتى صار الاعتقاد بأنها ستكون سبيله إلى تحقيق السعادة والخير للبشرية جمعاء ، جاء الواقع ليبين أن هذه التقنيات عكس ذلك ، وهذا يرجع إلى أن هذه التقنيات توالدت و تقاصرت على جميع المستويات مشكلة (كون تقني) يحتوي الإنسان احتواء ، ويستحوذ على إرادته وتغييب آفاته غياب عن إدراكه ، وهذا ما رده إلى استقلال هذه التقنيات بنفسها ، فهي تسير وفق منطقها بغير بصيرة من الإنسان .[٤] هذا المنطق الذي يقوم أساساً على مبدئيين اثنين كلاهما يضر بوضعية الإنسان في الكون :

- مبدأ لا عقلاني : ومقتضاه أن كل شيء ممكن ، يترتب عنه الخروج عن كل القيود .
- مبدأ لا أخلاقي : ومقتضاه أن كل ما كان ممكناً وجب صنعه يترتب عليه التحلل من كل الموانع الأخلاقية التي تقف دون هذا الصنع .

---

[١] طه عبد الرحمن : **سؤال الأخلاق** ، ص ٦٤ .

[٢] الموضع نفسه .

[٣] طه عبد الرحمن : **العمل الديني وتجديد العقل** ، ص ٤٣ .

[٤] الموضع نفسه .

ج) **الفوضوية** : النظريات العلمية كما يكشف عنها التاريخ ليس بعضها واصلا لبعض ، وإنما على الحقيقة بعضها قاطع عن بعض ، بحيث تقوم بينها علاقات تباين وتعاند ، لا علاقات تكامل وتساند (مثل العلاقة بين نظرية التكوين ونظرية التطور ، والعلاقة بين نظرية الميكانيكا الذرية والميكانيكا العقلية ، وبين نظرية أينشتاين ونظرية نيوتن) فهي نظريات لا تكمل بعضها كما أن كل واحدة منها لها طريق خاص في الإجابة على بعض الأسئلة . [١]

وبهذا إن العقلانية الديكارتية لا تستجيب لشرط النفع في المقاصد ، والنجوع في الوسائل أي أنها تنتمي دائما إلى أنه لا يقين في أن الوسائل المستخدمة ستكون ناجحة ، ولا يقين في أن الغايات المخاطر من أجلها ستكون نافعة ، فالمنهج العقلي سعى إلى فهم الطبيعة وقوانينها لوضعها في خدمته من أجل الوصول إلى السيادة التقنية لكن ما حدثها هو العكس ، أضف إلى ذلك التقاطع والتعارض بين النظريات العلمية عوض تكاملها وتراكبها ، وكان العلم في نموه يميل إلى الفوضى والتهادم (الفوضوية) .[٢]

إن المنهج العقلي العلمي محدود النفع في المقاصد ، فهو كذلك محدود النجاعة في الوسائل لأنه أفرغ كل القيم والمعاني الأخلاقية بحجه قطع الطريق أمام الذاتية باسم الملاحظة المباشرة والتجربة العينية ، يقول : " أصبحت المعاني الدينية والقيم الأخلاقية تعد عندها بمنزلة عوائق أو أعقاب ، تثبت العمل العلمي وتخرجه عن حقيقته وفائدته ، والصواب أن تحصيلا تماماً الموضوعية غير ممكن وكلما تفعله هذه الممارسة العقلانية ، هو أنها تستبدل بالمعاني الأخلاقية الدينية قيم من أخرى غير دينية وغير أخلاقية بما فيها الموضوعية نفسها "[٣]

ويدعو طه عبد الرحمن بلزوم تكسير طوق العقل وتفادي العقلنة ؛ إذ يقول : " ومتى كان لا يجوز للنقدية الفلسفية أن تؤسس العقل على ذاته ، لئلا تقع في مغالطة الدور الفاسد ، ولا أن تؤسس غيرة عليه ، مما يستحق أن يكون مؤسسا له لئلا تقع في مغالطة قلب الترتيب ، لزم تكسير طوق العقل بأن تؤسسه على أصل غيره حتى نتجنب الدور ، وبأن نطلب هذا الأصل فيما لا يقبل التأسيس العقلي حتى نتفادى العقلنة " . [٤]

أن العقل المجرد الذي يرهن عليه لكي تنتظم به أزمة التنوير ، صار عقل محتل بشهوته المصلحة والاستحواذ ، فكانت نتائجه كارثية على الإنسان ؛ خصوصا حين جعل العقل الوسيلة الأشد لاستلاب الإنسان ، يقول طه عبد الرحمن : " فالعقل المجرد هو بالذات العقل الذي يخلو من اليقين في نفع المقاصد التي اختارها ، وبالأولى من اليقين في نجوع الوسائل التي اتخذها ، ولا نستغرب إذ ذاك ينقلب بالضرر على الإنسان كان قليلاً أو كثيراً ". [٥]

٤- العقلانية المسددة والمقاصد النافعة :

بعد ما فرغ طه عبد الرحمن من فحصه للحداثة الغربية وعقلانيتها المجردة ، ببيان مفاسدها وحدودها ، في كونها لا تكفي بالمقاصد الكلية والغاية التكاملية للإنسان ، مظهرا الالتباسات التي

---

[١] المصدر نفسه ، ص ص ٤٥- ٤٦ .

[٢] طه عبد الرحمن : **سؤال الأخلاق** ، ص ٦٧.

[٣] الموضع نفسه .

[٤] طه عبد الرحمن : **فقه الفلسفة** ١- الفلسفة والترجمة – المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، طبعة ١ ، ١٩٩٥ ، ص ١٨٤ .

[٥] طه عبد الرحمن : **سؤال الاخلاق** ، ص ٦٨.

غشيت أعمال دعاة العقلانية والمحدثين ، لما أفرزته من أزمات ، ومن أجل تخليص الفكر العربي والإسلامي من الورطة التي أوقعته فيها العقلانية الحداثية الفاسدة . نجده يقترح نص كان عقليا أوسع لتجاوز النسق الحداثي الضيق ، ومرتبة أرقى من العقلانية المجردة اصطلح عليها : " بالعقلانية المسددة " والتي هي بمثابة البديل الممكن لمعالجة مشكلة حدود العقل المجرد ؛ فهي عملية إكمال لهذا العقل ، ويتم هذا من خلال الربط بين النظر المجرد وبين العمل على مقتضى الشرع .[١]

يقول : " ولما كان العقل المجرد بفضل تنزيله على العمل وتوجيهه على مقتضاه ، يأخذ في ترك وصفه العقلاني الأصلي ليتجه إلى الاتصاف بوصفه عقلاني أفضل وأعقل ، حيث نخص هذا العقل الذي يسدده العمل ويجدد لباسه باسم (العقل المسدد) ، ونحن ماضون بإذن -الله تعالى- إلي وصفه والنظر في مدى حدود إمكانياته في تكميل الحال العقلي للإنسان ."[٢]

فكسر طوق العقل المجرد ضروريا من أجل طلب التسديد لهذا العقل من قوة ليست من جنس قوته ، فتلقح وتغصب العمليات العقلية وتفتح للعقل المجرد آفاق بواسطة العمل ما لا يفتح له بدونه . فالمتأمل في مفهوم طه عبد الرحمن المسدد و مقصده مقصد خلقي ؛ بمعنى إعادة ربط القول أو العقل بالعمل في حقل المعرفة ، وقيمة الأفكار خاصة الفلسفية منها ، تكون أكثر فاعلية إذ تلبس بها صاحبها في سلوكه بمقتضى الشرع ؛ وفي قلبها للنفع ودفعها للضرر ، "فالعقل المسدد إذا : هو العقل الذي اهتدى إلى معرفة المقاصد النافعة" .[٣]

يؤكد طه عبد الرحمن أن فقه الفلسفة آلية معرفية نقرأ من خلالها الفلسفة وموضوعها المعرفية المتعددة ، فالفلسفة ليس قولا فقط وإنما قولا مزدوجا بالفعل ، وخطاب مزدوج بالسلوك ، وهذا ما قصده من العبارة : العقلانية الفلسفية عقلانية إتساعية " فإن الفلسفة لا تتوسل بالعقل فحسب بل تتخذه موضوعا تنظر فيه حتى كان من التعاريف التي وضعت لها أنها " علم العقل " ، ولما كان هذا النظر هو نفسه لا يفارق الرجوع إلى العقل فيكون أحرى بالفلسفة أن يقال فيها " إنها العمل بالعقل " من أن يقال فيها " أنها العلم بالعقل " بناء على أنه لا عمل بغير علم وأن العلم قد يكون غير عمل ." [٤]

٥- شروط العقل المسدد :

أ) موافقة الشرع :

لا يمكن أن يقع التسديد في الفعل ما لم يحصل التوافق مع الشرع والحق أن المرء لو أتى من العلم ما أتى هذا العلم عليه أو على غيرة من المنافع المزعومة ما در فلا ثقة بهذا العمل ولا عبرة بمنافعه حتى ينظر كيف هو عند أمر الله ونهيه وحفظ أحكام الشرع الإسلامي .[٥]

---

[١] طه عبد الرحمن : **العمل الديني وتجديد العقل** ، ص ٥٣ .

[٢] الموضع نفسه .

[٣] طه عبد الرحمن : **سؤال الأخلاق** ، ص ٧١ .

[٤] طه عبد الرحمن : **فقة الفلسفة ١- الفلسفة والترجمة** – ص ١٧٣ .

[٥] طه عبد الرحمن : **العمل الديني وتجديد العقل** ، ص ٥٩.

ب) اجتلاب المنفعة :

وقومها مختلفة المعاني والحكم التي من أجلها نزل الشرع أو التي لا يمكن تحصيلها في غيره من المقاصد و إن المنفعة الناتجة عن العمل الشرعي غير المنفعة فهذه الأخيرة وقالت محال في النقائص ولو تحار فيها المرء ما تحرى واتخذ من الموصل الغير الشرعية ما اتخذ. [١]

ج) الدخول في الاشتغال :

وهو قوام العقل المسدد في مقام النظر في العقل المجرد ، أي الاستغراق في العمل وإتيانه على وقف مقتضى الحكمة منه وعلى وفق ما يقول إليه في المستقبل ، العبرة ليست في الأفكار المجردة إنما بالنتائج العلمية التي تلازم هذا الاشتغال أن أحد الاشتغال بوجه عام هو الخروج من وصف النظري إلى وصف العمل ومعلوم أن مفهوم الاشتغال قد هم القدامى كما هم المحدثون ولكنه اكتسي عند هؤلاء مكانات متميزة حتى أصبح المعيار الذي يفرغ إليه في كل شيء وتورطت على هذا المفهوم أسماء مختلفة مثل : العمل ، الشغل ، الفاعلية ، النشاط ، الإنتاجية ، التطبيق ، التقنية وبالأخص الممارسة .[٢]

يظهر مما تقدم أن العقل المسدد هو عقل مجرد وقد دخله العمل الشرعي أي أنه خرج من أوصاف التجريد النظري وليس أوصاف التسديد العملي غير أن العقل المتبني على التسديد حتى وإن حصل لديه إدراك المقاصد النافعة فقط لا يحصل لديه إدراج الوسائل الناجعة وبالتالي يكون عرضه لآفات مختلفة يحددها طه عبد الرحمن في أفتين هما :

- **آفة التظاهر :**

وتترتب عن التفاوت بين ظاهر الفعل وحقيقة القصد منه ما ينجم عن هذا من ضرر، كان يأتي الفاعل (المشتغل) فعله ليس من باب التقرب إلى الله وإنما من باب التكلف ، فهو إجمالا : " عبارة عن وصف يكون بكل متقرب بالطاعات أو كل (قرباني) يقع منه التفاوت في الأعمال بين واقع (الاشتغال)وبين(المقاصد) المتوخاة من هذه الأعمال .[٣]

إن آفة التظاهر من الآفات التي لا يمكن لأحد أن يثبتها على غيرة لأنها تتعلق بالمقاصد وهي نية داخلية في نفس العبد مصدقا لقول النبي -صلى الله عليه وسلم- " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى. "[٤]

- **آفة التقليد :**

تترتب عن عمل المشتغل أو القرباني بقول أو بعمل الغير من دون تحصيل دليل يثبت فائدة هذا القول أو العمل ، أي الانكباب بالعمل على شاكله أقوال وإعمال الغير من دون تمحيص . وهو عند طه عبد الرحمن عبارة عن ثلاثة أصناف : اتفاقا ، عادي ، ونظري . إن التقليد إجمالا عبارة عن الوصف الذي يقوم بكل متقرب بالطاعات أو بكل قربان يقع منه العمل يقول الغير على سبيل الاتفاق أو على سبيل العادة أو الاستناد إلى دليل نظري.[٥]

---

[١] المصدر نفسه ، ص ٦٠.

[٢] المصدر نفسه ، ص ٦١.

[٣] المصدر نفسه ، ص ٧٩.

[٤] الزبير زين الدين أحمد بن عبد اللطيف : **مختصر صحيح البخاري** ، دار النفائس ، بيروت ، ١٩٨٦م ، طبعة ٢ ، الجزء الأول ، ص ٣٥ .

[٥] طه عبد الرحمن : **العمل الديني وتجديد العقل** ، ص ٨٣ .

٦- العقلانية المؤيدة والوسائل الناجعة :

على الرغم من علو منزله العقل المسدد وشرف مرتبته على العقل المجرد ، وقدرته على قهر حدود هذا العقل ، إلا أن كثيرا من الآفات التي يمكن أن تعلق به من شأنها أن تنقص من كماله وقطع صلته بالشرع ، لأن شرط العقل المسدد هو مجرد دخول العقل في الاشتغال الشرعي ، وليس النزول بمراتبه ، ولذا اجتهدت الممارسة الشرعية الإسلامية في الخروج من آفات العقل المسدد الخلقية الدخول في مرتبة أعلى وأفضل يغرسها العمل الشرعي ، وهذا في الاشتغال اصطلح عليها طه عبد الرحمن باسم العقل المؤيد ، والذي يمكن المتقرب من تحصيل التجربة الحية بمعانيها الروحية ، وإقامة باقي أعماله على هذه التجربة الفياضة ، فالعقل المؤيد هو : " العقل الذي اهتدى إلى تحصيل الوسائل الناجعة فضلا عن تحصيل المقاصد النافعة ."[١]

إن العقلانية المؤيدة تسلم بوصل العقل بالفعل ، وعدم انفصال المعرفة بالله عن العلم بالأشياء ، وتؤمن بعدم انفكاك الزيادة في المعرفة عن الفائدة ، وهي المرتبة الأسمى من العقلانية التي تمكن صاحبها من تلقي الخطاب القرآني بمعانيه الروحية ، وليس برسومه اللفظية ، وكان المتقرب في ترقية إلى العقل مرتبة العقل المؤيد غايته تتدارك الآفات الخلقية والعلمية التي ورثتها كل من العقلانيتين المجردة وبالخصوص المسددة ، فالذين اقتصروا عليها وأن حصل عليه لديهم الإجماع بأن التوسل بالعلوم النقية موصل إلى معرفة الله أو معين على ذلك ، فإن لم يحصل عليها الإجماع على مستوى العلوم العقلية لانفكاكها عن معرفة الله ، وفي هذا يقول طه عبد الرحمن : " فكل العلوم نقلية كانت أما عقلية يجب أن تكون خادمة للحقيقة الغيبية ، وكل ما اشتغل بهذا العلم أو ذاك لابد من أن يصل إلى إدراج جانب منها ، أن يستزيد التقرب إليها ، إلا كان علمه غير خادم للمقصود الشرعي منه ، وكان لا يستحق أن يوصف بوصف العلم النافع."[٢]

والمتقرب المترقي إلى مرتبة العقلانية المؤيدة من واجبة العمل والمزاولة عليه ، والاستزادة منه حتى يكون مفتاحا من مفاتيح الاهتداء إلى طريق الله ، من غير الخروج عن المقاصد الروحية التي جاء من أجلها الشرع والدخول في احتمال الضرر يقول : "يجب أن تكون الممارسة العقلية متسعة للاستزادة الدائمة من غير الخروج إلى ما فيه احتمال الضرر، فكل معرفة عقلية كاملة تكون مفتوحة الآفاق، ومتسعة الرحاب ، بحيث لا يخشي على الزيادة فيها والبقاء على هذه الزيادة من أن تحيد بها عن جادة المعقول ، أو تسيء إلى المتقرب بها بوجه من الوجوه . [٣]

ويؤكد طه عبد الرحمن أن العقل المؤيد لا تظهر كمالاته في الممارسة العقلانية الإسلامية بقدر ما تظهر في الممارسات الصوفية ، وهنا تبرز نزعته الصوفية ، وكيف أن الصوفي تستولي عليه تجربة التعظيم للشرع ، فتجعله يعني بتزكية أعماله بتربية أفعاله حتى تصير موافقة للمعرفة ، ثم يعني بترسيخ هذه الموافقة حتى تجلب له معارفه معرفة الله ، وتقلب له أعماله محبته الخاصة وهنا تتحقق دلالة العبدية في فعل المتقرب إلى الله والمشتغل به والمتعامل فيه ،

---

[١] طه عبد الرحمن : **سؤال الأخلاق** ، ص ٨٣.

[٢] طه عبد الرحمن : **العمل الديني وتجديد العقل** ، ص ١٤٩ .

[٣] الموضع نفسه .

وينقلب مفهوم الإنسان بذلك من كونه كائنا حيا عاملا في العقلانية المسددة إلى كائن حي عابد في العقلانية المؤيدة .

ثالثاً : موقف أبو يعرب المرزوقي :

١- مبادئ العقل والنظر ومبادئ الشرع والعمل به :

إن مبادئ العقل والنظر ومبادئ الشرع والعمل هي في الحقيقة شرط كل تقويم أيا كان مداه سواء نسبنا إليه الإطلاق الجحودي فاعتبرناه ذاتيا للأشياء كما يقول بذلك نسبته التحسين والتقبيح العقليين من المعتزلة تحكيما لمبادئ العقل الإنساني والمبدأ الغائي في الفعل الإلهي أو نفينا عنه ذلك فاقتصرنا على التسيب الشهودي واعتبرناه شرعيا كما يقول بذلك نفاه التحسين والتقبيح من الأشاعرة رفضا لهذا التحكيم [١].

جاءت نظرية المرزوقي تحقيقا لرغبته في الوصول إلى لغة وسيطه تحرر الإنسان من الأوهام التي تفرضها الفلسفات السائدة ذات الأساس الأفلاطوني التوراتي المحدث الجرماني ، وتجلية الإشكالات الفلسفية والدينية التي يدور حولها الخلاف بين الحضارة التي تغلب عليها العلاقة الشهودية بين الفكريين الديني والفلسفي والحضارة التي تغلب عليها العلاقة الجحودية بين هذين الفكرين (التجربة الجرمانية المسيحية) [٢].

وقد دعا المرزوقي في نظريته إلى صياغة تتجاوز التنافي بين الوضعيتين الثقافيتين لحل إشكالات الصراع بين نظرات الطبائع والشرائع وتستند هذه النظرية إلى مبادئ العقل ونظرية القيم بدرجاتها المختلفة ضمن مستوياتها الخمسة : المستوى الذوقي ، والمستوى العملي بالمعنى الخلقي ، والمستوى المعرفي ، والمستوى العملي بالمعنى التشريعي ، والوجودي في مستوى القيم الشهودية [٣].

وتتأسس عليها واحدة حية من القيم عبادها الوجدان الاستخلافي بوصفه إدراجا للصلة بالمطلق ، وهو إدراك ولازم الوجود الإنساني في أشد لحظاته طغيانا ، ويحدد العلة العميقة للترابط بين الفكرين الفلسفي والديني [٤].

ولا يعني ذلك نفي العقل بل نفي إطلاقه الذي يجعله معيارا للوجود ذلك أن التقويم يمكن أن ينتسب إلى موقف يطلق العلم والعمل الإنسانيين في الميتافيزيقية فيصح وصفه بالموقف الجحودي . ويمكن أن ينتسب إلى موقف لا يطلقهما فيها فيصح وصفه بالموقف الشهودي . وهذا الموقف بخلاف ذاك إشارة للتعالي الذي يجعل المبادئ بضربها العقلي والشرعي مواضع ضرورية للاجتهاد الجماعي الذي يحرر البشر من الإطلاق والصراع حول موضوعات القيم ومن ثنائية التحكم السلطاني فينتهي إلى مصطلح أطلق عليه ابن خلدون اسم عدم التقسيم في النظر والعمل وذلك للتخلص من التحكم الروحي المستند إلى الحيلة والخديعة والتحكم الزماني المستند إلى العنف والفساد [٥].

---

[١] محمد أبو يعرب المرزوقي : **مبادئ العقل وقيمة : دلالات التجاوز النقدي للسنتين العبرانية واليونانية** ، ص ٤٠ .

[٢] الموضع نفسه .

[٣] المصدر نفسه ، ص ٤١ .

[٤] الموضع نفسه .

[٥] أبو يعرب المرزوقي ، **وحدة المفكرين : الديني والفلسفي** ، ص ص ٤٨ –٥٠ .

ويعد المستوى المعرفي الثالث وسطا بين المستويين الأوليين والمستويين الأخيرين وهو يكتسب أهميته من تحديد الترابط بين طبائع القيم ، فيصل الغايات التي يحملها الفرد بالوسائل التي يسير بها المجتمع ، فتحرر الأولى من إطلاق المثال وتحرر الثانية من إطلاق الواقع فالمعرفة ، ومنها الجانب الموضوعي ، وهي الأساس الذي يبني عليه الاجتهاد الاجتماعي الذي يكون دائما مشدودا إلى المستوى الأخير ، حيث للقيم الوجودية وظيفتان : " وظيفة الحد من المعرفة التي تدعي الإحاطة لتذكير الإنسان بمحدوديته ووظيفة تحرير إدراك التعالي من كل حصر في المعرفة المحدودة لتذكير الإنسان بربه " [١].

يرى المرزوقي أن مبادئ العقل والنظر ومبادئ الشرع والعمل شرط لكل تقويم من حيث هي شروط للأفعال الإنسانية ومعيارها إذ إنها تحدد أماكن الشهود أو الجحود في الفعل الإنساني ، وتهيئ للمطابقة أو التقابل بين الفكرين الديني والفلسفي من حيث علاقاتها بإثبات التطابق أو نفيه ، ما يمهد للوحدة كما في الشهود ، أول مقابلة كما في الجحود [٢].

ذلك إن المنطق الذي تقوم عليه المبادئ والقيم يتباين بتباين مرجعية تلك المبادئ والقيم فمنذ بزوغ نجمة الفلسفة اليونانية في ذروة ما بعد الطبيعة ، ساعد أرسطو مبادئ العقل الوجودي والمعرفي ، ودلل عليهما ، وضع لهما شرطا في القول والعلم . وقد ظلت تلك المبادئ ثابتة حتى جاءت محاولات علم الكلام والفلسفة الإسلامية ، فزعزعتها باندماجها فيها ، وبلغت ذروتها في فلسفة ابن سينا ورد الغزالي عليها بوجهها النقدي [٣].

وقد تمحض عن ذلك ما سماها المرزوقي فكر الحنيفية المحدثة ، وكان أساس تلك المحاولات هي نفي التقابل بينما يمكن تسمية نظرية الشرائع والخلقات (جمع خلقي بمعنى المستوى العملي) و نظرية الطبائع والهويات ، بهدف تحرير العقل من التقابل بين الدين المستند إلى النظرية الأولى ، والفلسفة المستندة إلى نظرية الثانية نتيجة التحريف الذي طرأ على كليهما [٤].

وعلى هذا ، فإن المرزوقى لم يسند العمل والنظر إلى ختم الإطلاق الميتافيزيقي ، بمعنى " عدم اعتبار مبادئ العقل والنظر مبادئ للطبيعة في ذاتها " ، فكان ذلك اجتهادا يحتمل التطوير ، ولم يسندهما أيضاً إلى ختم الإطلاق الميتاتاريخي ، بمعنى " عدم اعتبار مبادئ الشرع والعمل مبادئ للشريعة في ذاتها " ، أي إن أقوال العلماء وأفعالهم لا تقع في دائرة التقديس ، وهذا ينفي عنهما وهم الإطلاق [٥].

إن اقتصارنا على المبادئ الثلاثة الأولى التي سادت في مرحلة ما قبل الثورة يبقى الإنسان في إطار الحلولية المنغلقة . فمهما سمت القيم الإنسانية الحضارية خلقيا فإنها تبقى دون المطلق ، وهي في صبو دائم إلى الشهود ، ومهما اتسع علم الإنسان عن نفسه فإنه يبقى محصورا _ وكذا علمه _ في الوجود . وبهذا ، كانت المبادئ الأولى مبادئ جحوديه ، لأنها تستند إلى إطلاق

---

[١] أبو يعرب المرزوقي، **مبادئ العقل وقيمة : دلالات التجاوز النقدي للسنتين العبرانية واليونانية** ،ص ٤٥ .

[٢] أبو يعرب المرزوقي: **وحدة الفكرين : الديني والفلسفي** ، ص ٨٠ .

[٣] المصدر نفسه ، ص ص ٣٧ – ٣٨.

[٤] أبو يعرب المرزوقي ، **مبادئ العقل وقيمة : دلالات التجاوز النقدي للسنتين العبرانية واليونانية** ، ص ص ٤٤ – ٤٥ .

[٥] المصدر نفسه ، ص ٥٢ .

الطبائع ، وهي لم تصبح شهودية إلا بفضل المبدئين وغير أن المبادئ جميعها ، بنفي الإطلاق عنها ، من خلال جعلها ذرائع فيخلص الوجود من إطلاق الطبائع وإطلاق الشرائع [١].

٢- مبدأ الحنفية المحدثة:

يبني هذا المبدأ استدلالاته على اعتبار أن الطبيعة والتاريخ آيتان دالتان على شروط معقولية الطبيعة وشروط مشروعية الشريعة وذلك أن الإنسان لا يدرك منزلته الوجودية إلا من حيث التقاء الشرائع التي هي أساس للحرية بالطبائع كونها أساسا للضرورة وكلاهما يستند إلى أمرين : الوجود ، ومشروعية القيم . ويتشكل من هذين الأمرين أساساً الإسلام الذي لا يصح من غيرة نظر أو عمل [٢]. وهذا المبدأ يتأسس عن طريق التعالي على المقابلات الجحودية المؤدية إلى التقابل بينهما ، ما يمكن من تجاوز التقابل الظاهر بين الطبائع والشرائع الذي ينفي أحدهما الآخر .

وقد تميز موقف الحنيفية بمسألتين وفقاً للمرزوقي [٣]:

أ- الاعتقاد الصريح بالتوحيد بين الدين الطبيعي الأسمى(الذي لا يستثنى الشرائع) ودين المنزل الأتم (الذي لا يستثنى الطبائع) ، لأنه دين الفطرة ، فالدين بوصفه مؤسسا للقيم المتعالية على التاريخ – السياسي – يهدف إلى إخلاء أي وساطة بين الإنسان وخالقه ، وفيه دعوة إلى التأمل العقلي ، وترسيخ حق كل إنسان في الفهم والإدراك [٤].

ب- الاعتقاد الصريح بختم الوحي ، أو نهاية التنزيل ، نظرا إلى اتحاد التاريخي والطبيعة في مجرى الخلق الطبيعي ، اللذين لا يتقابلان إلا من المنطلقين الجحودين اللذين تستند إلى أولهما الطبيعة النافية للشريعة ، وتستند إلى آخرهما الشريعة النافية للطبيعة . وتقدر الإشارة إلى أن هذا الاعتقاد ناتج من الاعتقاد الأول [٥].

إن ختم الوحي المصحوب بنفذ السلطان الروحي معصوم يمكن أن يستعاض عنه بسلطان الاجتهاد الإجماعي المستند إلى الاستخلاف العام الذي يصبح فيه كل إنسان مسهما بقوله في الشهود ورفضه الجحود ، ويكون باعتبار الطبيعي والشرعي وحدة تتجلى في خصوصية الفرد الإنساني ، كما تتجلى في كلية التاريخ الإنساني [٦].

إن الحل الذي يقدمه فكر الحنيفية المحدثة فإنه يستند إلي إضافة قيمتين جديدتين إلى القيم المعهودة : قيمة التوجيه وقيمة الشهود (شرطية تحرر من الضرورة والقول بالاستخلاف ، أعني نفي تأليه الإنسان) وهذه الإضافة تساعد على فهم الصلة بين الإشكاليتين النظرية والعملية بإرجاعهم إلى إشكاليتين أعمق منهما هم إشكاليتها التوجيه الذي يجعل الماهيات ممكنات لا واجبات والشهود الذي يجعل المعلومات نسبيات لا مطلقات لشهود ما يتعالى عليها أعني موضوعها الآية ، الإشكاليتان اللتان تمكنان من فهم هذا الحل استناداً إلى تحليل أفعال العقل

---

[١] حنان فيض الله الحسيني : **وحدة الديني والفلسفي في مشروع أبو يعرب المرزوقي والحضاري** ، الجامعة الاردنية ، ٢٠١٧ م ، ص ١٠٩ .

[٢] أبو يعرب المرزوقي: **وحدة الفكريين : الديني والفلسفي** ، ص ٢٢ .

[٣] أبو يعرب المرزوقي: **مبادئ العقل وقيمه ، دلالات التجاوز النقدي للسنتين العبرانية واليونانية** ، ص ص ٤٣ –٤٤ .

[٤] أبو يعرب المرزوقي: **وحدة الفكريين : الديني والفلسفي** ، ص ٢١ .

[٥] الموضع نفسه .

[٦] الموضع نفسه .

وقيمها (الذوق والعلم والعمل والتوجيه والشهود) ومن فهم مكوناتها البسيطة والمركبة لصلة ذلك بجهات الوجود التي تصبح قيما في ضوء شهوده [١].

٣- المبادئ التي يقوم عليها عمل العقل والنظر:

إن اكتشاف مبدئيين في الحرب العربية الإسلامية يكملان مبادئ أرسطو هما مبدأ الترجيح ومبدأ التحقيق من ترك نظرية الشريعة مع تعديل مبدأ الهوية الطبيعي ليصبح مبدأ الخلق التشريعي وقد عمل اكتشاف هذان المبدعين على تغير معنى المبادئ الأخرى بتحديد شروط وجودها ما ساعدها على تجاوز منبع إشكالات وتكون بين نوعي المبادئ (العقلية _ النظرية ، والشرعية _ العلمية) ، وتحقيق وحدتهما عن طريق فلسفة تجمع بين الطبيعة والشريعة ، وقد بنى المرزوقي على أساسها المبادئ التي يقوم عليها عمل العقل والنظر بهدف تحقيق الوحدة بين هذين الفكرين على نحو يختلف عما جاء به أرسطو فيما يخص الهوية من حيث هي طبيعة متأثرا بذلك بالنقد التيمي لمنطق أرسطو.[٢]

أ) مبدأ الهوية المعدل :

رأي اليونان ومنهم أرسطو وإن للهوية جوهر سوار في التاريخ الطبيعي ثابتا كثبات الأنواع والأجناس ، وعملوا على تحصينه بمبدأ أي عدم التناقض والثالث المرفوع معنا بالحفاظ على ثباته ، ولكن الفلاسفة المسلمين ، وعلى رأسهم ابن سينا ، ثم الغزالي الذي اتبعه على وجه الخصوص ، رأوا في الهوية " خلقة حكمية متغيرة تغيير الإرادة الإلهية المشرعة بحسب القصور والعناية ، وأسسوها على مبدأي الترجيح والتحقيق " .[٣]

ب) مبدأ عدم التناقض :

أصبح هذا المبدأ منبعا للقيم الخلقية بمفهومه المعدل ، وهو يهدف إلى تحقيق شروط التعامل التعاقدي بين البشر عامة ، وأساسه يستند إلى تكافؤ الالتزامات وثباتها وعدم تناقضها داخل الوحدات الحية التي يتصل بعضها ببعض بواسطة تلك الشروط والالتزامات وهي تقوم على مبدأ العدل أو التعامد بين الأخذ والعطاء في المعاملات والعبادات .[٤]

ج) مبدأ الثالث المرفوع :

أصبح هذا المبدأ منبعا للقيم المعرفية بمفهومه المعدل ، وهو يهدف إلى تحقيق الفصل بين الآراء المتقابلة من حيث مطابقتها للمقياس المطلوب ، وبه يقاس الحكم الجماعي لقضية ما ، ولكن من دون زعم للمطابقة المستغرقة التي من صفاتها الثبات ، كونها لا تتحقق إلا في العلم المحيط وعلى هذا فلا يمكن للمعرفة أن تتقدم إذا كانت تدعي الإحاطة فالإحاطة تعني جمود المعرفة وعدم قبولها التغيير أو التحسين [٣].

---

[١] أبويعرب المرزوقي : **مبادئ العقل وقيمة (دلالات التجاوز النقدي)** مجلة حكمة ، ٢٠١٧ م ، ص ٢١ .

[٢] الموضع نفسه.

[٣] المصدر نفسه ، ص ٦٦ .

[٤] المصدر نفسه . ص ٦٧.

[٣]) أبو يعرب المرزوقي : **العلل العميقة لتعثر الصحوة والنهضة** ، جودت سعيد ، بحوث ومقالات مهداه إلية . دار الفكر ، ط١ ، ٢٠٠٦م ، ص ٢٢٦ .

د) مبدأ الترجيح :

هو المبدأ المعدل لكل المبادئ السابقة ومنه تنبع القيم الجهودية ، وغايته فتح للإمكان على قابلية الفعل العقلي لمواصلة التجديد المستمر ، بحيث لا يتوقف التطور ، ويبقى الحاصل في إطار الممكن دائما . ومن دونه يتوقف تطور العلوم والمعارف ، وبفضله لا تكون الموجودات طبائع ضرورية ، وإنما شرائع اختيارية لا تحكمية .

ومعنى الترجيح يأتي من الفعل "رجح" أي : زاد ، وقوي ، جاوز . وهو على درجتين :

الأولى : فيها ترجيح هيئة الموجود من بين هيئات لا متناهية ، وتلك هي الهوية المتقدمة على الوجود .

والثانية : فيها ترجيح الوجود على العدم وكلاهما متساوي عند الخالق ، فكان لزاما وجود مرجح ، هو الإرادة الإلهية .

يري ابن خلدون أن العلم والعمل هما طريق التحقيق الفعلي للسيادة البشرية ، وأنهما الدلالة العينية لخلافة الإنسان على الأرض من حيث نيابته (الإرادة الإنسانية) عن المطلق (الإرادة الإلهية) [١].

ه) مبدأ التحقيق :

هو المبدأ المعدل للمبادئ الثلاثة الأولى ، ومنه تنبع القيم الوجودية ، وهو أساس منزلة الاستخلاف الوجودية ، وغايته التمييز بين الشهود والجحود ، الذي يحصل الإنسان في تعييناته بإطلاق حدوده ، والذي بإطلاقها يتأمله الإنسان ، فيحول التأله بينه وبين التطور . وهذا المبدأ يعني بنقل الأشياء من موضوعية القيام بالقصد إلى موضوعات القيام بالذات ، وهو ضروري لازم لترجيح تحقيق الآنية ، ويصطلح على تسميته باسم القضاء .[٢]

إن اعتبار معطيات الوجود الشريعة قائمة الذات ، مثلها مثل المعطيات الطبيعية ، وجودا ، وإدراكا ، وهو ما يعبر عنه بالفطرة وذلك أن الوجود التشريعي آية موازية للوجود الطبيعي . في الفصل بين الفكر الديني (علوم الشريعة) والفكر الفلسفي (علوم الإنسان) لم يكن ممكنا في الإسلام ، ولم يقبل به المرزوقي .[٣]

ولا سيما أن الإسلام يتميز بوصفه دينا بخصيصة الجمع بين القراءتين التشريعية والطبيعية ، ويحيل عليه القرآن من خلال آيات الفكر والنظر التي يلح عليها بوصفها دليل عليه بما هو وحي إلهي ، فالتحام الدنيا بالدين يمثل الوحدة التي يتفرد بها الإسلام عن سائر الأديان .[٤]

واعتبار الوحي أمرا جامعا بين الدين الطبيعي (العقل) والدين التشريعي (النقل) فكلاهما وحي من وجهة نظر المرزوقي ، من حيث إن العقل الطبيعي هو ملكة معرفية ، وليس أمرا خارجا عني الوحي فهو إحدى درجات الوحي ، إضافة إلى أن الوحي هو ملك معرفية طبيعية من جنس الوحي ، علي الرغم من أنه (الوحي) أعم من العقل ، وله درجات أرقي ، وأنه وحي الرسالات المتمثل في الدين التشريعي (النقل) ونادر الوقوع وقد تم فختم .[١]

---

(١) الموضع نفسه .

(٢) أبو يعرب المرزوقي : **مبادئ العقل وقيمة** : دلالات التجاوز النقدي للسنتين العبرانية واليونانية ،ص ٤٧.

(٣) أبو يعرب المرزوقي : **شروط نهضة العرب والمسلمين** ، ص١٣ .

(٤)علي عزت بيجوفيتش : **الاسلام بين الشرق والغرب** ، عمان ، دار الشروق ، ٢٠١٤ م ، طبعة ٤ ، ص ٢٨٧.

رابعا : موقف محمد عثمان الخشت:

إن العقلانية في فكر الخشت هي تيار يحكم العقل ، العقل الذي يميز الله سبحانه وتعالى به الإنسان عن الحيوان ، ويقول الخشت إنه من الأسف أن كثيرا من الناس لا يستخدمون عقولهم حتى الذين يستخدمون عقولهم يستخدمونها بشكل خاطئ ، لانهم لا يعرفون طريقة التفكير الصحيحة أو لأنهم يغلبون رغباتهم ومصالحهم السريعة لأحكام العقل .[٢]

يرى الخشت أن للعقل معاني متعددة فهو أداة تمكن الإنسان من الاستدلال على النتائج من المقدمات وقيل أن العقل هو الذي يحدد المبادئ العامة في كل علم ويقال على المعرفة العلمية إنها عقلية بمعنى أنها تستند إلى العقل في تأويله للملاحظة والتجربة ، فالعقل هو أصل المعارف وأصل العلم ويمكن التمييز بين العقل النظري الخاص بالعلوم والمعارف النظرية والعقل العملي الخاص بالسلوك والأخلاق وهو الذي يوضح مبادئ السلوك الصحيحة ، وبه يتم التمييز بين الخير والشر والفضيلة والرذيلة والأمور القبيحة والحسنة .[٣]

إن العقل هو الاختيار الذي يبني عليه المرء ما يأتي به مما لا ينتهي إلا إدراكه سائر الحواس ، فإن الفعل أو الطرق لا يعتبر إلا لحكمة وعاقبة حميدة ، والعاقبة الحميدة لا تتحقق في ما يأتي به الإنسان من فعل أو ترك له إلا بعد التأمل فيه بعقله ، فمتى ظهرت أفعاله وأفعال العقلاء كان ذلك دليلا لنا على أنه عاقل مميز ، وأن فعله وقوله لا يخلو عن حكمة وعاقبة حميدة وقد قيل إن العقل أصل لكل علم وكان بعض أهل العلم يسميه أم العلم وقد أكثر الناس الخلاف عليه قبل الشرع وبعده .[١]

ينتقل الخشت من رؤية علماء الأصول إلى الفلاسفة موضحاً كيفية معالجتهم لعلاقة الدين والعقل ووجهته إمام العقل في الفلسفة العربية ، فيقول سعى الفلاسفة العقلانيون من المؤمنين للتوفيق بين الدين والعقل مثل ابن رشد الذي يقول في كتابة " فصل المقال "وكان الشرع قد ندب إلى اعتبار الموجودات وحث على ذلك فأما الشرع قد دعي إلى اعتبار الموجودات بالعقل وتطلب معرفتها به ، وإذا تكرر أن الشرع قد أوجب النظر بالعقل في الموجودات واعتبارها وكان الاعتبار ليس شيئا من أكثر من الاستنباط المجهول من المعلومات واستخراجه من وإذا كان

---

[١]) أبو يعرب المرزوقي : " **الوحي ودلالاته**" ، الوعي العربي بقضايا الامة ، تاريخ الدخول ٢٠٢٢/٧/٢٦ الساعة ١ صباحا

https:abouyaarebmarzouki.wordpress.com

([٢]) محمد عثمان الخشت : **العقلانية والتعصب**، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، طبعة أولي ، القاهرة ، ٢٠٠٧ م، ص ٣.

([٣]) المصدر نفسه . ص ٩.

[١]) جمال سليمان : **الخشت في رحاب العقلانية** ، بحث منشور في كتاب " فيلسوف التجديد والمواطنة والتقدم " : دراسات في فلسفة الخشت النقدية : فتحي التريكي ، تقديم : مراد وهبة : تحرير أحمد عبد الحليم ، دار نيوبوك ، طبعة ١، ٢٠٢٠ م ، ص ٤٦٨ .

الشرع قد حث على معرفة الله تعالى وسائر موجوداته بالبرهان كان من الأفضل لمن أراد أن يعلم الله وسائر الموجودات بالبرهان أو أن يتقدم أو لا فيعلم أنواع البراهين وشروطها .[١]

١- مفهوم العقلانية واستخداماتها :

يورد الخشت المعنى العام للعقلانية بأنها منهج وطريق في التفكير تستخدم العقل كأداة للمعرفة ، إنها إسلوب ينحو إليه بعض الفلاسفة بل من الفقهاء في نظرية المعرفة في فهم العالم فالعقلانية على حسب تعبير الخشت ليست مذهبا واحداً مغلقا يتم فريقا من الأنصار بل هي سمة تتسم بها العديد من التيارات والمذاهب بدرجة أو بأخرى فالعقلانية طريقة في التفكير تعتبر العقل مركزيا في توليد المعرفة الصحيحة وتؤمن بقدرة العقل على فهم الوجود وتوليد أو استنباط الحق والخير والجمال وتحديد معايير العدالة .[٢]

يقدم الخشت التفكير العقلاني ليس على أنه مذهب فلسفي فحسب بل ينزل إلى أرض الواقع باعتباره منهج حياة حتى يكون فاتح لدخول الأمي إلى عصر علمي جديد ، ويتحدد معنى العقلانية كما يقول الخشت المقصود بحسب المجال : نظرية المعرفة ، الدين ، علم الأخلاق ، المنطق ، العلم الطبيعي والرياضي ، لكن الاستخدام الأكثر شيوعا للكلمة يتعلق بنظرية المعرفة واقتراب التعامل مع الدين (وحيا ونبوة) كمصدر للمعرفة .[٣]

الاستخدام الأول:

معنى العقلانية في مجال نظرية المعرفة هو ذلك المذهب الذي يرى أن المعرفة الكونية تستمد من العقل لا من التجربة والحواس ، ولا نلتقي من القلب والوجدان فالمعرفة تستمد من العقل لأنها لابد من أن تكون كلية ، فهي كلية لأنها تشمل جميع الحالات ، وهي ضرورية لأن النتيجة تلزم عن المقدمة ، وترى العقلانية الفلسفية أن الكلية والضرورية كصفتين منطقيتين للمعرفة الحق لا يمكن أن تستنتجها من التجربة وأن عموميتها تستنجد فقط من العقل نفسه إما من التصورات المفطورة في العقل أو من التصورات الموجودة فقط في صورة الاستعدادات القبلية للعقل .[٤]

حيث تقف العقلانية في مواجهة التجريبية التي ترى أن المعرفة اليقينية تنبع من التجربة لا من العقل ، وهكذا فإن حدود العقلانية في نظرية المعرفة تتمثل في كونها تنكر قضية أن الكلية والضرورية تنشأ من التجربة ، ومن ثم يكون المذهب العقلي في الفلسفة هو أي مذهب يرى أن كل ما هو موجود مردود إلى مبادئ عقلية ومن هذا الوجه يطلق على فلسفة أفلاطون – هيجل سبين وزاد – ليبنتز .[٥]

الاستخدام الثاني :

يتعلق بالموقف من الدين ويشير هذا الوصف إلى أصحاب الرأي القائل بأن الدعاوي الدينية ينبغي أن تختبر بمحك عقلي ، وأحياناً يشير إلى بعض القائلين بأنه لا يجوز الإيمان بخوارق الطبيعة وهذا المعنى الأخير لا ينطبق على كل العقلانيين ، لأن منهم من يقبل المعجزات

---

[١] الموضع نفسه .

[٢] محمد عثمان الخشت : **العقلانية والتعصب** ، ص ٩ .

[٣] أيمن محمد رجب : **العقلانية في خطاب الخشت الفلسفي** ، ص ص ٥٠٥- ٥٠٦ .

[٤] محمد عثمان الخشت : **العقلانية والتعصب** ، ص ١١.

[٥] الموضع نفسه .

ويصوغها عقلانيا مثل ليبنتز ، وأحياناً يطلق وصف العقلانية على الذين يقبلون المعتقدات الدينية لكن بعد اختبارها اختبارا عقلياً كما أطلق على المؤمنين الذين يفسرون الدين في ضوء العقل .[١]

يرى الخشت أن العقلانية ليست بالضرورة ضد الدين فهي تيار واسع ومتنوع ومتفاوت فيما ينطلق منه من مسلمات وينتهي إليه من نتائج ، فالخشت يعد من أكثر المفكرين تأكيدا على العقلانية خاصة في مجال الدين .[٢]

ويورد الخشت أن لوك أعتقد أن المبادئ الإلهية والأخلاقية قابلة لإقامة البرهان العقلي عليها ، أما هيوم فأنكر ذلك أي رفض أنها قابلة للبرهنة بعض العلماء موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول مثل ابن تيمية بينما انحرف بعض بالعقل في موقفه من الدين مثل أبي بكر الرازي ، يذكر الخشت أن مصطلح العقلانية كان يستخدم في الفلسفة الحديثة بوصفه الاتجاه المعارض للكهنوت المسيحي والدين ، ولا يزال البعض يستخدم العقلانية خطأ لتعني معنى مماثلاً مع العقلانية أو مع الإلحاد ، لكن من وجهة نظر علمية بحتة لا تعني العقلانية بالضرورة هذه المعاني الازدرائية. [٣]

يناقش الخشت مفهوم العقلانية في الساحة الفكرية عادة تحت وطأة الجدل السياسي حول العلمانية والدين حيث يحتكر العلمان الحديث باسم العقلانية ، في حين يبدو وكأن الطرف الذي يدافع عن الدور الفعال للدين في مجال العلم بدوائرة المختلفة يقف موقف التحفظ من العقلانية إن لم يكن العداء لها وفي حين يرفع الفريق العلماني شعارات الاستمارة ويتهم خصومه بالرجعية والظلامية بل والتمسك بالخرافة ، بينهم الفريق المنافح عن الدين معارضة بالاستهانة بالغيب والوحي وتقديم العقل على النص والرغبة في التحلل من القيم الأخلاقية والقواعد الشرعية .[٤]

حالة عدم الثقة بين العقلانيين ورجال الدين من ناحية وبين رجال الدين والعقلانيين من الناحية الثانية يسأل عنها الطرفان فبغض النظر عن نقاط الاختلاف الهامشية في أن الدين لا يضاد العقل بل العقل شرط التكليف والمسؤولية واستخدام العقل ليس ضد الدين بل إنه من فرائض الدين .[٥]

يرى الخشت أن كلا الطرفين قد بلغ في نفي الآخر ، فالعقلانية ليست ملكا خاصة للعلمانية دون سائر الفرق .[٦]

إن الخشت أهتم اهتماماً بالغا بالعقل وأعطاه مكانة عظيمة في عالم الفقه والفلسفة معا ، بل وفي كل ما يتناوله فقد جعل للعقل السيادة في كل ما يعرض عليه وكل ما يتناوله ، فالخشت يرى أن العقل في الفقه هو مناطق تكليف أي أن من فقد عقله سقط عنه التكليف ، يستدل الخشت على مكانة العقل من القرآن الكريم فقد نزل كثيرا من الآيات القرآنية التي تبارك العقل وتزكية ،

---

[١] محمد عثمان الخشت : **نحو تحرير العقلانية من العلمانية** ، ص ٤٤٢.

[٢] أيمن محمد رجب : **العقلانية النقدية في خطاب الخشت الفلسفي** ، ص ٥٠٦.

[٣] محمد عثمان الخشت : **العقلانية والتعصب** ، ص ١٤ .

[٤] جمال سليمان : **الخشت في رحاب العقلانية** ، ص ٥٦٩.

[٥] الموضع نفسه .

[٦] محمد عثمان الخشت : **العقلانية والتعصب** ، ص ٦ .

ويرى أن نور الوحي القرآني والتشريع الرباني لا يطمس نور العقل أبدا بل يباركة ويزكية بل ويعطي للعقل قدر عجيبا فقد جعلت تشريع القرآن العقل مناطق تكليف.[١]

إن محمد عثمان الخشت في مشروعة في تجديد الفكر الديني قد اتكأ علي العقلانية النقدية ، من أجل تعيين مواطن الخلل والقصور فيها والنقض الشامل لكل طرف والإيمان: إن الأحادية المولدة للإرهاب سواء إرهابية أو غير إرهابية ثم التربص بأخطر ما تمخض عنه التطرف هذا الإرهاب الغشوم .[٢]

٢- العقل والإيمان :

الصلة بين العقل والدين في العصر الحديث أهم النقاط التي أثارت حوارات فكرية أثرت على الرؤية الإنسانية إلى أبعد مدى ، ليس في مجال الفلسفة فقط بل شملت الرؤية العامة للإنسان الحديث ، والحق أن هذه الرؤية تميزت بهيمنة كلية للجانب المادي على الجانب الروحاني ، فهل يوم كان تحصيل الحقيقة بفصل الدين عن العقل أو بين الهنا وهناك ؟

٣- طبيعة العقلانية الإسلامية :

تتمثل الخطوة الأولى لبناء العقلانية الإسلامية ، عند الخشت في تحليل العقلانية الغربية وبيان صفتها النسبية التي بدأت في نهاية المطاف شكلا أيديولوجيا ، غاياته وهي السيطرة على العالم ، بهذا كان الاستشراق الغربي حقلا ضخما لبيان سلطوية ، تجعل من العقلانية الغربية عقلانية كونية بينما العقلانية الإسلامية عقلانية لا تصل إلى العقلانية بمعاييرها المحددة الغربية ، بل هي مجرد عقائد تنتمي إلى زمان لم يكن فيه العلم الوضع قد أسس ذاته .[٣]

يعتبر الخشت أن موقف العقلانية الغربية من العقلانية الإسلامية يعود إلى عدم دراية العقلانية الأولى بطبيعة العقلانية الثانية . كما أنها تعميم للخلاصة النقدية تجاه الدين المسيحي على كل دين ، أي تعميم التاريخية الغربية في علاقاتها بالدين على كل الأديان ، ومن ثم وقعت العقلانية الغربية في التناقض واللاعلم بل واللاتاريخية .[٤]

كما يؤكد الخشت أن التنازع بين الدين والعلم . أهم الخصائص التي تجعل الإسلام دينا يعمل على تنمية العقل ، بما حبل به من بداية نقدية ، تتمكن في حد ذاتها من تقديم أسس شاملة للحقيقة . إذ الحكم على الإسلام حكم سلبي قد جاء نتيجة المقارنة بالمسيحية حيث لا ينظر للإسلام وفق جدليته الخاصة ، فإذا كانت المسيحية رهبانية ، فإن الإسلام حسي ، وإذا كانت المسيحية مسالمة فالإسلام محارب ، وهكذا جاء الحكم على الإسلام نقص الروحانية نتيجة عملية قلب عكسية في

---

[١] غيضان السيد علي : **من الفقة إلي الفلسفة بحث منشور في كتاب " تجديد العقل الديني في مشروع الخشت الفكري** ، تقديم : عمرو الشريف ، تحرير : غيضان السيد علي ، دار روابط للنشر والتوزيع ، طبعة ١ ، القاهرة ، ٢٠١٨ م ، ص ص ٨٨-٨٩ .

[٢] يمني طريف الخولي : **العقلانية النقدية وتطوير علوم الدين** : مجلة المصور ، العدد ٤٩٧٥ ، ١٢ فبراير ٢٠٢٠م ، ص ٢٨.

[٣] محمد عثمان الخشت : **الوضعية والاستشراق في عصر الايديولوجي** ، نهضة مصر ، القاهرة ، ص ٣٥ .

[٤] المصدر نفسه ، ص ص ١١٣ – ١١٤ .

حين جاء الحكم على الإسلام ، بالتخلف الديني المناهض لحرية الانتقاد العلمي نتيجة قياس المثل .[١]

هكذا تتميز العقلانية الإسلامية بعدم مناقضة الحقيقة العلمية ، على خلاف المسيحية ، ومن ثم يكون وصل الإسلام بالتخلف والعنف عبارة عن خلاصة القراءات التاريخية ، التي قامت بها عقلانية غربية مؤدلجة ، شحنت بالمنظور السلطوي الذي يجعل الغرب أفضل من الشرق ، ويفوقه بالعقلانية التي جعلت العلم ينمو في حين تبقى العوالم الإسلامية في وضع التخلف بسبب الإسلام في حد ذاته ، بما أنه في عرف العقلانية الغربية دين لا يبعث الهمه على تقصي الحق بواسطة العقل ، و الإسلام من ناحية أخرى خبر مزعج بالنسبة للغرب على وجه الخصوص وفي غضون السنوات القليلة الماضية ، لا سيما منذ أن لفتت أحداث إيران انتباه الأوروبيين والأمريكيين بقوة ، قامت وسائل الإعلام الغربية بناء على ذلك بتغطية الإسلام وبالنتيجة قامت وسائل الإعلام تلك بجعله معروفاً .[٢]

لكنها معرفة تدمر كثير من التدليس ، فقد بين الغرب أن التفاضل الأصلي بين الإسلام والغرب أساسه التميز بين عقلانية علمية وأخرى وجدانية لا تكرس إلا الخرافة والعنف .

تعمل المشاريع العربية علي تغيير العقل العربي الإسلامي ، بل ويتحول المشروع النقدي إلى صراع أيدولوجي بين قطبين ؛ الأول يعبر عن أنظمة مغلقة تحتفي بالتاريخ معلنا عن صلاحيته لكل زمان ومكان . الثانية أنظمة تتشبث بعقيدة ترى الخلاص في الحداثة الغربية ، أما الدليل على هذا الصراع الأيدلوجي فهي لوائح التكفير ، التي رمى بها الكثير من المفكرين العرب في القرن العشرين .

إن هذا الصراع الثنائي القطب قد نتج عن غياب عقلانية التأسيس وعقلانية التفسير وخروج الاتجاهين عن معطى التاريخية وتحولهم نحو اللامادية حيث أن غياب الديمقراطية قد ذكى حال الصراع وحوله إلى عائق يكون دون التغيير السياسي .

٤- العقلانية الغربية والعقلانية الإسلامية – التقابل والمجاوزة :

قد قام محمد عثمان الخشت بتقصي أيديولوجي في الجذور المعرفية للعقلانية الغربية ، ممثله في أقطابها الثلاثة ديكارت ، كانط ، هيجل ، ولقد تبين عبر النقدية التي سعى إلى تأسيسها أن العقلانية المنصوصة عبر الحداثة ، هي عقلانية تثبت شكلا من الثنائية ، هناك الدين وهناك العقل ، غير أن العقل يتوارى خلف الدين ليبقى العقل المجرد هو الشكل المؤسس للعقلانية الغربية .[٣]

إن المتأمل في مضامين المذهب يجد "هيجل" لم يبدأ من الدين لكي ينتهي إلى الفلسفة وإنما يبدأ من الدين لينتهي إلى الدين ، وما الفلسفة إلا جسر انتقل عليه "هيجل" من المرحلة اللاهوتية إلى الديانة المعقلنة ، في حركة السيرة الفعلية التي تختلف عن الحركة المعلنة الظاهرة ليست من

---

[١] الموضع نفسه .

[٢] ادوارد سعيد : **تغطية الاسلام** . ترجمة : محمد كوزون ، دار نينوي ، العراق ، ٢٠١١م ، ص ٧ .

[٣] محمد عثمان الخشت : **المعقول واللامعقول في الدين – فلسفة الدين بين العقلانية النقدية العقلانية المنحازة** ، ص ٥ .

الدين إلى الفلسفة ، بل من الدين إلى الفلسفة إلى الدين مرة أخرى ، ولكن ليس الدين بالمعنى الإنساني العام إنما الدين المسيح على وجه التحديد .[١]

لا ينتمي الخشت إلى الاتجاه الذي صدمته الحداثة ؛ فهو يسير في برهانه على تعالق العقل الغربي بالدين المسيحي عكس اتجاه الفكر المنصوص من قبل المركزية الغربية ؛ فالعقلانية الغربية تنسل من رحم الدين ، ولذلك تحضر العقلانية الإسلامية بوصفها عقلانية أخرى إلى جانب العقلانية الغربية ، فلا تفاضل بينهما ولا ترتيب دوني يجعل العقلانية الإسلامية مساوية للتخلف يقول : ارنست رينان " قياسا مرة آخري على المسيحية والغرب والعلم ، يرى أن النهضة لن تتحقق عن طريق الإسلام ، بل سوف تتحقق عن طريق إضعافه ، فالنهضة في الغرب ، تحققت بإضعاف الكنيسة وسوف تتحقق في الشرق بإضعاف الإسلام ، وأفضل شيء يمكن أن نسديه للمسلم هو تحريره من دين الإسلام ."[٢]

لقد عملت النقدية الخشية على توضيح ملامح الإنفصال القائم بين التاريخية العربية والتاريخية الإسلامية ، ملحة على ضرورة الفصل بينهما ، فلا صلة يمكن تجمعهما بالنظر إلى الاختلاف الجذري بين المسيحية والإسلام ، حيث يقول الخشت " أن رينان يصر على قياس المثل ، وينسى الفروق الجوهرية ، بين الإسلام والكنيسة المسيحية في الغرب."[٣]

وقبل رينان اتسمت فلسفة " هيجل " بالنعرة العنصرية حيث ألغت هذه الفلسفة الإسلام من قائمة الأديان ، ولم تترك إلا المسيحية باعتبارها تحصيل للمطلق ، بهذا أخرج "هيجل" الإسلام من التاريخ " مع أن الإسلام - لأسباب موضوعية صرفة - من أكثر الأديان تأثيرا في حركة التاريخ ، وتتوافر فيه شروط العالمية أكثر من أي دين آخر ومن حيث إن الخطاب القرآني في موجة إلى العالم كافة ، وأنه يعترف بالتميز والاختلاف الموجود بين الشعوب."[٤]

وهكذا تكون العقلانية الغربية عقلانية انحيازية تتجه إلى بناء مركزية شاملة تتميز فيما يلي:

١- إنها متعددة الأوجه ، إنها باطن وظاهر ، باطن ينسل من حيث المصدر إلى الدين ، وظاهر يدعي القطيع عن الدين ، وهو ما أورث العقلانية الغربية صفة الانحياز .

٢- ذاتها ثنائية الطابع ، ودليل ذلك هو الكوجيتو الديكارتي ، حيث يؤسس لثنائيات الدين والعقل ، العقل والمادة ، كما أسس لثنائية الأنا والآخر .[٥]

٣- انها مؤدلجة فهي عملية أدلجة تتجه إلى بناء مركزية غربية ، كانت عاملاً لوعي التفاضل بين الأبيض والملون ، فعملت على تأسيس برنامج كوني ، يكون فيه الأبيض في المركز ، أما الهامش فلا يرقى إلى مصاف العقلانية ، والملون ينصف بالكسور الذاتي قطعاً .[٦]

---

[١] الموضع نفسه .

[٢] محمد عثمان الخشت : **الوضعية والاستشراق في العصر الأيديولوجي** ، ص ٩٣ .

[٣] الموضع نفسه .

[٤] محمد عثمان الخشت : **المعقول واللامعقول في الدين** ، ص ١٠ .

[٥] المصدر نفسه . ص ١٢ .

[٦] الموضع نفسه .

خاتمة :

إن مبادئ العقل والنظر والشرع والعمل شرط لكل تقويم عند طه عبد الرحمن وأبو يعرب المرزوقي ومحمد عثمان الخشت وذلك لأنها هي شروط للأفعال الإنسانية ومعاييرها والمنطق الذي تقوم عليه هذه المبادئ يختلف باختلاف مرجعية تلك المبادئ منذ زمن بعيد .

اعتمد طه عبد الرحمن في تأسيس ترتيبه للعقل من الممارسة الإسلامية فكان العقل المجرد وسيلة الممارسة الإسلامية العلمية والنظرية والعقل المسدد وسيلة الممارسة الفقهية والسلفية والعقل المؤيد وسيلة الصوفية ، وهي انجح الوسائل في القيام بمهمة التخليق إذا كان العقل المؤيد اعقل العقول لأنه اهتدى إلى حقيقة الوجود وهي محبة الله ولأجل ذلك استحق صفة الكمال وخلاصة القول في مقاربة الممارسة الإسلامية بأي منهج كان لابد من الرجوع فيه إلى كتاب الله وسنة رسوله فهي المرجعية الأساسية في أي مقاربة .

وقد جاءت نظرية المرزوقي تحقيقا لرغبته في الوصول إلى حل ليحرر الإنسان من الأوهام المفروض عليه من الفلسفات السائدة.

إن العقل يحجب مكانة وقيمة عظيمة وكبيرة عند محمدعثمان الخشت وأبو يعرب المرزوقي و يروا في العقل القدرة على مواجهة أي إشكالات في هذا الواقع حتى ولو كانت تتمتع بصعوبة بالغة وهذا ما لفت إنتباهنا هنا فإن الخشت قد حمل مشروعة الفكري على أسس عقلية أراد نهضة علمية ، فالعنصر العقلي لدى الخشت والموقف العقلاني له بروز واضح في كل ما يصدر عن فكره فواضح وضوحا لا تشوبه شائبة بارز كليا في كل كتاباته .

قائمة المصادر والمراجع :

أولا : المصادر

١. طه عبدالرحمن : **فقه الفلسفة** ١- الفلسفة والترجمة – المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، طبعة ١ ، ١٩٩٥.

٢. : **العمل الديني وتجديد العقل** ، المركز الثقافي ، الدار البيضاء ، المغرب ، طبعة ٢ ، ١٩٩٧ م.

٣. : **سؤال الأخلاق** – مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية –المركز الثقافي العربي . الدار البيضاء . طبعة ١ ، ٢٠٠٠م.

٤. محمد أبو يعرب المرزوقي : : **شروط نهضة العرب والمسلمين** ، دمشق ، دار الفكر العربي ، الطبعة الأولي ، ٢٠٠١م .

٥. : **العلل العميقة لتعثر الصحوة والنهضة** ، جودت سعيد ، بحوث ومقالات مهداه إلية . دار الفكر ، ط١ ، ٢٠٠٦م.

٦. : **مبادئ العقل وقيمة (دلالات التجاوز النقدي)** مجلة حكمة ، ٢٠١٧ م.

٧. ١. : " الوحي ودلالاته" ، الوعي العربي بقضايا الامة ، تاريخ الدخول ٢٠٢٢/٧/٢٦ الساعة ١ صباحا https:abouyaarebmarzouki.wordpress.com

٨. محمد عثمان الخشت : **العقلانية والتعصب**، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، طبعة أولي ، القاهرة ، ٢٠٠٧ م.

٩. : **نحو تحرير العقلانية من العلمانية** ، مركز الدراسات الاسلامية بالقيروان ، المغرب ، القيروان ، ٢٠١٣م.

١٠. : **الوضعية والاستشراق في عصر الايديولوجي** ، نهضة مصر ، القاهرة.

ثانيا : المراجع

١. ابن سينا : **تسعة رسائل في الحكمة والطبيعيات ، الرسالة الرابعة في الحدود** ، دار العرب للبستاني ، مصر، الطبعة الثانية.
٢. ابن منظور : **لسان العرب** ، ج ١١ ، دار صادر ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولي
٣. ادوارد سعيد : **تغطية الاسلام** . ترجمة : محمد كوزون ، دار نينوي ، العراق ، ٢٠١١م .
٤. جمال سليمان : **الخشت في رحاب العقلانية** ، بحث منشور في كتاب " فيلسوف التجديد والمواطنة والتقدم " : دراسات في فلسفة الخشت النقدية : فتحي التريكي ، تقديم : مراد وهبة : تحرير أحمد عبد الحليم ، دار نيوبوك ، طبعة ١، ٢٠٢٠ م.
٥. جميل صليبا : **المعجم الفلسفي** ، ج ٢ ، الشركة العالمية للكتاب ، بيروت – لبنان ، ١٤١٤ه.
٦. حنان فيض الله الحسيني : **وحدة الفكرين الديني والفلسفي في مشروع أبو يعرب المرزوقي والحضاري** ، الجامعة الاردنية ، ٢٠١٧ م .
٧. الراغب الأصفهاني : **المفردات في غريب القرآن** ، تحقيق / صفوان عدنان الداودي ، دار القلم والدار الشامية ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولي ،١٤١٢ ه .
٨. الزبير زين الدين أحمد بن عبد اللطيف : **مختصر صحيح البخاري** ، دار النفائس ، بيروت ، ١٩٨٦م ، طبعة ٢ ، الجزء الأول.
٩. زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري : **أسني المطالب في شرح روض الطالب** ، ج ٤ ، دار الكتاب الإسلامي.
١٠. الشريف الجرجاني : **التعريفات** ، تحقيق / جماعة من العلماء– ١٩٨٣ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة الاولي ، ١٤٠٣ ه.
١١. علي عزت بيجوفيتش : **الاسلام بين الشرق والغرب** ، عمان ، دار الشروق ، ٢٠١٤ م ، طبعة ٤.
١٢. عمرو بن بحر الجاحظ : **الرسائل الأدبية** ، تحقيق / صفوان عدنان الداودي ، الطبعة الأولي سنة ١٤١٢ ه ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت – لبنان .
١٣. غيضان السيد علي : **من الفقة إلي الفلسفة بحث منشور في كتاب " تجديد العقل الديني في مشروع الخشت الفكري** ، تقديم : عمرو الشريف ، تحرير : غيضان السيد علي ، دار روابط للنشر والتوزيع ، طبعة ١ ، القاهرة ، ٢٠١٨ م.
١٤. محمد عبد السلام عبد الشافي ، الإمام الغزالي : **المستصفي** ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ؛ إحياء علوم الدين ، ج ١ ، دار المعرفة – بيروت ، الطبعة الاولي ، ١٤١٣.
١٥. محمد عبدالهادي أبوريدة : **رسائل الكندي الفلسفية** ، دار الفكر العربي ، ١٣٦٩ ه .
١٦. محمد عوض مرعب : **تهذيب اللغة** ، ج ١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، الطبعة الاولي ، ٢٠٠١ م.
١٧. محمد نعيم العرقسوسي وآخرين : **القاموس المحيط** ، الفيروزآبادي ، ج ١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثامنة ، ١٤٢٦.
١٨. يمني طريف الخولي : **العقلانية النقدية وتطوير علوم الدين** : مجلة المصور ، العدد ٤٩٧٥ ، ١٢ فبراير ،٢٠٢٠م.

(Foundations of the mind and its orientations) an analytical study on Taha Abdel-Rahman - Abu Yarub Al-Marzouki - Muhammad Othman Al-Khasht

By

Aida Hisham Farouk Abdel Maboud

Prof. Dr. Ibrahim asked him to take it

Professor of Modern and Contemporary Philosophy, Faculty of Arts, Tanta University

Abstract:

Among the many blessings that God Almighty bestowed upon man is the blessing of the mind that distinguished him from all other beings, and that this blessing is one of the effects of the divine honoring of man when he favored him over many of his creation. And its whims, and man did not possess a mind in which he realized his life and the reasons for his existence when his presence in life had any benefit or benefit, so the construction and reclamation of the land always needs the mind that thinks about innovating the means and methods that lead to that, so the mind is the assumption of succession in the land.

We aim here to shed light on the problem of the mind, and if that is so, then what is the position of Taha Abd al-Rahman - Abu Yarub al-Marzouqi - Muhammad Othman al-Khasht on this, and this is what the researcher will present in this research: Among the many blessings that God Almighty bestowed upon man is the blessing of

the mind that distinguished him from all other beings, and that this blessing is one of the effects of the divine honoring of man when he favored him over many of his creation. And its whims, and man did not possess a mind in which he realized his life and the reasons for his existence when his presence in life had any benefit or benefit, so the construction and reclamation of the land always needs the mind that thinks about innovating the means and methods that lead to that, so the mind is the assumption of succession in the land.

Keywords: foundations of reason; Taha Abdel Rahman; Abu Yarub Al-Marzouki; Muhammad Othman Al-Khasht.